الفصل الرابع

الخرافة وأثرها

على الإنسان

الخرافات تعشش في المناطق الشعبية

احتار ضابط الشرطة في أحد أحياء المناطق الشعبية في أمر ، عندما اكتشف أن سر العراك الذي نشب بين جارين سببه تلطيخ الجار الجديد جانباً من حائط جاره القديم بخمسة أصابع من دم خروف ، طرداً للشياطين ودفعاً لعين الحاسد للبيت الجديد.

فالخرافات والشعوذة والجدل الذي لا ينجو منه متعلمون وذوو ثقافة محدودة ، حيث تشير إحصاءات الباحثين إلى أن (70 %) يؤمنون به ؛ بل وينفقون مليارات الجنيهات سنوياً على الدجالين والمشعوذين .

وقد أكدت دراسة علمية ، أن بعض الذين يؤمنون بالخرافات والدجل ، وأساليب مكافحة الحسد الشعبية وغيرها أنفقوا قرابة 10 مليارات جنيه عام (2003) على الدجالين والمشعوذين الذين يلجأون إليهم بهدف إخراج "جن" ، أو "فك عمل" ، أو عمل "حجاب" ، يقى صاحبه شراً ما .

وأثبتت الدراسة التي أعدها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أواخر عام (2003) إن هناك قرابة (300) ألف شخص ، يعلمون في مجال الدخل والشعوذة ، نتيجة استمرار اعتقاد الكثير من الأسر بأن هؤلاء الدجالين يستطيعون حل الكثير من المشكلات المستعصية، مثل تأخر سن الزواج ، أو عدم الإنجاب (العقم) ، أو فك السحر ، وأن كم الخرافات ، والخزعبلات التي تتحكم في سلوك المصريين تصل إلى (274) خرافة.

وجاء في الدراسة أن زيادة أعداد الدجالين يتناسب مع زيادة عدد من يؤمنون بهذه الخرافات ، ومنهم متعلمون وذوو ثقافات رفيعة حتى أن هناك دجالاً لكل (240) مواطناً لعلاجه من الجن ، أو كشف المستور ، وغير ذلك من لغات السحرة والمشعوذين ، وأن (50 %) يعكس عدم رغبة الكثيرين في إجهاد عقولهم بالتفكير والتدبر ، في شأن الموروثات والخرافات القديمة .

وتسود الدول العربية خلافات كثيرة ناتجة عن موروثات شعبية عتيقة ، لا علاقة لها بالحقيقة ، ويزيدها انتشاراً ظهور حالات غريبة في القرى والأرياف ، مثل حرائق منازل من غير مبرر.

ومن أبرز هذه المعتقدات وأطرافها ؛ ما يقال عن أن "الكنس" ليلاً، أو إلقاء مياه ساخنة في البالوعات ، يزعج الجان ، وأن العب بالمقص فأل سيئ يجلب الخناقات الزوجية ، أو دفن "عرسة تحت عتبة الباب ، أو تعليق خرز أزرق ، أو فردة حذاء قديمة على أبواب المنازل ، وفي السيارات يجلب الرزق ، أو القول بأن دخول أحد على الحامل ، أو المرضعة بـ "لحمة حمراء" ، أو باذنجان أسود ؛ كل هذا يسبب جفاف للبن الأم، أو ما يسمى "المشاهرة" أي عدم الإنجاب مرة أخرى.

ومنها ما يقال عن أن الغراب الأسود ، والقطة السوداء ، علامات شؤم تدفع بعض الأشخاص للعزوف عن الخروج من منازلهم أحياناً لو رأوها وهم يهمون بالخروج ، أو أن ذبح فرخة أو خروف وتلطيخ الشقة أو السيارة الجديدة بدمه بإصبع اليد "خمسة وخميسة" يمنع الحسد، أو أن صوت البومة مقدمة للموت والأحزان ، أو أن رش ماء وصفه دجال أمام الجارة لمنع زواجها .

أما أبرز طرق الحل التي تنتشر أيضاً كخرافات لمنع الحسد والسحر فمنها : تعليق قراءة حذاء مقلوبة، أو تميمة على شكل عين يخترقها سهم على باب المنزل ، كما يحدث الآن في الكثير من القرى مع قراءة بعض التراتيل والتعاويذ ، لحماية المنزل من الجسد.

فرموز الشر والتشاؤم ، مثل رؤية طائر البومة ، والنفور منه، وهو ما يتنافى مع نظرة الحضارة الفرعونية لهذا الطائر، الذي كان يرمز به لوجه ما يسمى آلهة الخير "إيزيس" ، بسبب وجه الطائر القريب في الشبه من الإنسان ، وكلن الجسم الطائر.

أسباب الخرافات والشعوذة؟

يرى علماء الاجتماع أن انتشار هذه الخرافات واستمرارها من جيل لآخر ، وبين المتعلمين والجهلة على السواء ، يعود لعدة أسباب منها رغبة أصحاب الحاجات لتجربة أي وسيلة علمية ، أو غير علمية للحصول على مبتغاهم مثل لجوء الزوجة العاقر إلى المشعوذين ، يأمل البحث عن وسيلة للحمل في حالة فشل العلاج الطبي ، أو لجوء المريض بمرض عضال لهذه الوسائل ، طالما أنه لن يخسر شيئاًً من التجربة.

ويقولون إن زيادة نسبة الأمية والتثقيف الخطأ ، واستمرار اعتناق الموروثات القديمة ، دون تفكير علمي ، وانتشار الأمثال الشعبية التي يرتبط بعضها بهذه الخرافات يساهم في نشرها.

ويؤكد علماء المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، أن هذه العبادات والمعتقدات ، أفرزها العقل الجماعي منذ آلاف السنين ، وثقافة رديئة من الصعب القضاء عليها في وقت بسيط ؛ بل يمكن نشر المعرفة، ومحاولة تفنيد الخرافات تدريجياً للتخلي عنها دون إجبار مع توفير البدائل والحلول العلمية لغلق الطريق أمام استحضار الأساطير مرة أخرى.

ويرى علماء الاجتماع أن هذه الخرافات والشعوذة موجودة في كل دول العالم ، وأنه أمر عادي في جميع الحضارات والمجتمعات ، حتى في الدول المتقدمة ، ومنها أمريكا نفسها، حتى أن الباحث الأمريكي "البرت اليتر" ، كما يقول كفافي ، رصد أكثر من 11 فكرة خاطئة بمجتمعه ، تخضع للمذهب الانفعالي اللاعقلاني منها الاعتقاد بأنها هناك كائنات خفية تتربص بالإنسان ، وتحاول إيذائه.

التفسير النفسي لقراءة الكف

عندما يكون خط العقل غير واضح في اليد اليسرى وواضح في اليد اليمنى ، يعني ذلك أن الشخص لم يرث أي صفات عقلية من الوالدين ؛ ويكون ذو عقل متفوق على والديه .

كما أنه شخص لم ينل حظ وافر من التعليم في بداية حياته ، ولكنه وصل للتنمية الفكرية بالبحث ، أما إذا كان خط العقل باهت في اليد اليمنى ، وواضح في اليد اليسرى فهذا يدل على أن الشخص نفسه لم يستغل فرصته العقلية ليصبح في مستوى القدرات العقلية العملية لوالديه وأن هذا الشخص ليس لديه إرادة عقلية قوية ؛ لكنه ذو طبيعة عنيدة .

ويتضح هذا من أصبح الإبهام ، ولا شك أن الخطوط العقلية الواضحة والدقيقة علامة قوية لإمكانية القدرة العقلية على عكس الخطوط العقلية الباهتة وتنبأ بقدرة عقلية وطبيعة فطرية ، وهذه القاعدة تنطبق على كل خطوط الكف ، وبدراسة دقيقة خط الحياة .. والعقل ونهاية انحداره واستقامته يوضح أن خط العقل يبدأ ويتفرغ إلى خط الحياه.

أولاً : عندما يبدأ خط العقل من داخل خط الحياة فإن صفات الشخص تتمثل في أنه يكون شديد الجذر خجول وحساس ، سريع الغضب ،لا يتحكم في أعصابه ، ودائم الاختلاف مع من حوله.

ثانياً: لو امتد خط العقل إلى الأمام على الكف ؛ بحيث يكون أو يصبح مستقيماً ؛ فإن ذلك يدل على أن هذا الشخص يمكنه أن ينمي قدراته ويتغلب على نقاط الضعف في شخصيته الحساسة جداً.

ثالثاً : أما إذا كان الخط ممتد إلى أسفل نحو المعصم فعلى العكس ، سوف يعاني هذا الشخص من اهتزاز شخصيته مع تقدم سنه

رابعاً: أما إذا كان خط العقل به علامات ضعيفة فهو يتعرض لضغوط نفسية شديد ، قد يصاب على أثرها بمرض نفسي.

خامساً: إذا كان الخط باهت في منتصف الكف فهذا الشخص من الذين يتعاطون المخدران والخمور ، ويصاب بأمراض خطيرة تسبب الوفاة.

اللاشعوي الجمعي:

يعطي يونج أهمية كبيرة لمشاكل ومتاعب الناس في الحياة يومياً، فعندما يتفاعل الإنسان مع المجتمع وأصدقائه يقابله عقبات ومشاكل فيحدث له عملية إحباط نتيجة لعدم إشباع دوافعه وحاجاته لذا فهو يهمل بعض من سلوكياته "أفكار وذكرياته الأليمة" ، ويهتم بالجزء الآخر من هذه السلوكيات ، وما يهمل من أفكار وذكريات حتى باللاشعور الجمعي.

وهذا اللاشعور موروث من خبرات الأجيال السابقة ، والدليل على ذلك وجود تشابه في الكلام بين البشر جميعاً مهما اختلفت جنسياتهم.

فعدم القدرة على مواجهة هذه المتاعب والمشكلات والتغلب عليها هو السبب في نشأة الأمراض النفسية أي بسبب انعزال الإنسان عن مواجهة هذه المشكلات ؛ فاللاشعور يحتوي على نوايا طيبة وشريرة .

فإذا فشل الإنسان في مواجهة موقف معين، أو عدم تحمله لصدمة معينة ؛ فإنه يبكي ، وهذا البكاء هو طريقه تكيف الإنسان مع المجتمع.

ويرى يونج أن البشر من حيث السلوك الظاهر نوعين :

1- انبساطي. 2- انطوائي ، وأن الطاقة الذرية طاقة كلية تهدف إلى الحياة ، وتشمل جميع الإمكانيات الحيوية ؛ حيث إنه أرسى قواعد المنهج التحليلي.

فالسحر أحد الوسائل أو الميكانيزمات الدفاعية الفاشلة ، والتي يلجأ إليها بعض الأفراد لا شعورياً لمواجهة الصراعات والإحباطات الشديدة (كل شيء أو

مجال يفشل فيه هؤلاء الأفراد) هذه الدفاعات الفاشلة لا تنجح في إعادة الاتزان ا لنفسي لهؤلاء الأفراد ؛ وبالتالي في تحقيق الإعلاء للغرائز الجنسية أو العدوانية ، فيعطوا الحرية لهذه الغرائز لكي تتحكم في سلوكهم بدلاً من تحكم العقل في سلوكهم فيلجئون للسحر كوسيلة لتعويض فشلهم ، وهذا يفسح الطريق للأعراض المرضية فبدلاً من توجيه هذه الطاقة "الغرائز الجنسية و العدوانية" إلى الإبداع في المجتمع فيحولونها إلى السحر والشعوذة ، وتقطيع صلة الرحم بين أفراد المجتمع ، وبث روح العداوة والتفرقة بين أفراد المجتمع، وبالتالي تخلفه، أي تحقيق ذاتهم في المجتمع بطريقة لا سوية وغير مشروعة .

فالسحر قد يرجع إلى الإرث الثقافي الذي مر به المجتمع فيتوارثه الأجيال عبر التاريخ.

فالسحر هو ناتج عن عقدة قابيل "أول جريمة قتل شهدتها الإنسانية؛ فهي جريمة بكل المقاييس وتعتبر من الكبائر التي تعادل الشرك بالله عز وجل ، فهو مظهر من مظاهر الاغتراب النفسي والاجتماعي الذي يعاني منه الساحر والفرد الذي ذهب إليه ، فهما شريكان في هذه الجريمة ، فهما لا يحبان أن يشاهدا أي شيء جميل ؛ بل يريد التفرقة بين الأفراد والخراب في المجتمع .

فالساحر إرهابي غير ظاهر ، ولكنه أشد خطراً من الإرهابي العملي .

فالساحر يجعل الإنسان المسحور يموت على البطيء ، ويتعذب، أما الإرهاب العملي فيجعل الإنسان يموت في الحال ويستريح ، فالسحر من العقد النفسية التي تكون بمثابة سلوك مفرط يتجاوز الحد الطبيعي كما أنها سلوك جامد ذو قوالب متكررة .

فمفهوم الذات يلعب دوراً رئيسياً في تشكيل العقد النفسية للإنسان وخاصة منذ تكوينه في مرحلة الطفولة فهو الذي يحدد مدى إدراكه لجوانب قصوره ، قد يكون عند أحد الأفراد مفهوم سالب للذات بحيث يشعر أنه أقل من الآخرين في جانب معين ، أو أنه دونهم في إمكانيات وقدراته بصفة عامة حينئذ سيشعر هذا

الفرد بالنقص حتى ولو لم يكن هناك أوجه نقص واقعية والعكس صحيح ؛ فإن بعض الأفراد يكونون مفهوم ذات كبير أكبر من إمكانياتهم وقدراتهم ، و يتضمن المبالغة في تقدير إمكانياتهم وقدراتهم ويتعاملون في بيئتهم الاجتماعية على هذا الأساس "مصابين بمرض سرطان الذات" وهذا يجعل الفرد يلجأ إلى السحر واللجوء إلى السحرة اعتقاداً منه بأنهم سوف يحققون ذاته في المجتمع بقدر سرطان ذاته.

لذا فهناك فرق بين الشعور بالنقص وعقدة النقص ، فالشعور بالنقص شعور سوي يشعر به الفرد عندما يقارن بين نفسه وبين شخص يفوقه علمياً ، أو مالياً ، أو مكانة مرموقة في المجتمع فيشعر أنه أقل منه ولكن هذا الشعور لا يدفعه إلى سلوك تعويضي ناجح ، أما عقدة النقص ، فهي شعور لا سوي بالنقص ، ولكنه يدفع الفرد إلى سلوك تعويضي فاشل ، ولهذا نجده يستجيب بحساسية شديدة وزائدة عندما تمس الجوانب التي يعاني منها من عقدة نقص ، فعقدة النقص تؤدي إلى فشل الإنسان في التعويض بسبب مفهوم ذاته السلبي ، ولهذا يلجأ إلى السحر والسحرة كأسلوب تعويضي فاشل.

الانفعالات "الخبرة الانفعالية" وأثرها في السحر

فالانفعالات عبارة عن حالة وجدانية تنشأ عن مصدر نفسي نتيجة لإعاقة السلوك ، أو التفكير المضاد ، بحيث تؤثر على سلوك وتعبيرات الفرد مثل الخوف أو الغضب أو السرور.

الانفعالات والدوافع:

فالانفعالات تستثار غالباً من منبهات أو مثيرات خارجية موجودة في البيئة .

أما الدوافع فتستثار من منبهات داخلية عملية نفسية داخلية.

وتعتمد الدوافع على الانفعالات ، وتستمد منها الطاقة التي تحولها إلى سلوك يسهم في إشباع الدافع البيولوجي والنفسي .

تصنيف الانفعالات : "الخبرة الانفعالية"

تصنف في ضوء أساسيين هما :

1- المصدر . 2- الموضوع "الموقف الذي تظهر فيه" .

1- المصدر : تستثار الانفعالات من خلال خصائص موقفية تستثير الشعور بالألم (مثير ملائم) . أي أن الموقف الذي أحدثته خبرة الإعاقة هو الذي يحدد نوع الخبرة الانفعالية ، أو التقزز (مثير منفر).

2ـ الموضوع "الموقف" : أي تستثار من خلال التقدير المعرفي للخبرة الانفعالية (الخوف ـ الدهشة ـ الغضب ـ الحزن ـ السرور).

الجوانب الأساسية للانفعالات :

تتم دراسة الانفعال من ثلاث جوانب أساسية :

أ ـ الاستجابة الفسيولوجية الداخلية .

ب ـ الخبرة الشعورية "التقدير المعرفي للخبرة الانفعالية" . جـ - الاستجابة التغيرية الظاهرة.

أ ـ الاستجابة الفسيولوجية الداخلية:

تنتج هذه الاستجابة الفسيولوجية عن تنشيط بعض أجزاء المخ "الجهاز العصبي" مثل ازدياد سرعة ضربات القلب زيادة في سرعة التنفس والعرق ، ارتفاع في السكر وضغط الدم.

وتكون هذه الاستجابة شديدة وحادة في حالة الغضب والخوف ، قال سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ "لا تغضب " ثلاث مرات .فهذه الاستجابة

الفسيولوجية المصابة بالانفعالات لا تتغير من الطفولة إلى الرشد ، والذي يرقى هو أفكارنا و تقديراتنا المعرفية المصاحبة لهذه الاستجابات بحيث يجعلنا أكثر قدرة على التحكم فيها.

الشخصية السوية هي التي ترقى أفكارها وتقديرها المعرفي لهذه الاستجابة الفسيولجية المصاحبة للانفعالات، فالشخص السوي هو الذي يستطيع أن يقدر الخبرة الانفعالية تبعاً لنوع الإعاقة والموقف الذي يساعد في تشكيلها.

بـ الخبرة الشعورية :

فتقدير الإنسان للموقف الذي يمر به يساعد في تشكيل خبرتنا الانفعالية وشدتها ، وهذا التقدير هو الذي يميز الشخص السوي الذي يسلك بما يتفق مع خبرته الانفعالية عن المريض (النفسي) الذي يتهور ويثور ، ويكون عدواني ، كما أن فهمنا لخبراتنا الماضية يشكل تقديرنا للمواقف الحالية ، وبالتالي يؤثر في تشكيل انفعالاتنا الحالية.

فالخبرة الانفعالية الشديدة أو المتخصصة تؤثر على الأداء العقلي والإبداعي ، فالإبداع انفعال أسمى من العقل ، كما تؤثر في عملية التكيف داخل المجتمع ، وفي درجة السواء أو اللا سواء لدى الإنسان.

ج ـ الاستجابة التعبيرية الانفعالية:

هذه الاستجابة تشكل عملية التخاطب بين البشر ويخدم عملية التفاعل الاجتماعي بينهم ، فإظهار الإنسان انفعاله للآخرين يساعدهم على الاستجابة الملائمة له ، وتقديم العون له ، أو توقع تصرف سليم ، أو غير سليم منه .

هذه الانفعالات عند الاقتراب منها يجب على الإنسان الناضج أن يكون سلوكه يتراوح بين العتبة الدنيا ، والعتبة الفارقة ، فالسحر هو اقتراب الإنسان من العتبة القصوى التي تؤلمه.(فزادوهم رهقا).

فتقدير الإنسان السوي للموقف يعتمد على الخبرة السابقة ، كما يساعد هذا التقدير في تشكيل الخبرة الانفعالية فيجعل الإنسان السوي يسلك بما يتفق مع خبرته الانفعالية.